التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في كتاب

(التبيان في تفسير غريب القرآن)

لمحمد علي الشهرستاني الحائري (ت: ١٣٤٤هـ)

م. د. ميثم كريم كاظم الشاهين

مديريـة تربيـة ذي قـار

krymmythm882@gmail.com

ملخص

لا يخفى ما للعربية من دور فاعل من أجل الوصول إلى علم التفسير والكشف عن معاني النص القرآني وتوضيح دلالاته، ولاشك إن من أهم أدوات ثراء النص القرآني تعدد الأوجه الاعرابية التي تقع من تعدد القراءات القرآنية فتؤدي دورها الفاعل في حيوية النص وديمومته وتعدد احتمالات قراءته والكشف عن معانيه، لذا فقد اهتم المشتغلون بتفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية قديماً وحديثاً، ومن هولاء الشهرستاني الحائري في كتابه (التبيان في تفسير غريب القرآن)، فقد ألفيناه يورد بعض القراءات القرآنية – على قلتها – ويعنى بتوجيهها توجيهاً نحوياً بحسب ما يناسب المعنى والسياق، وقد درس البحث – معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي– التوجيه النحوي في الأسماء والأفعال والحروف وأثرها في ثراء دلالة النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: التوجيه النحوي، القراءات القرآنية، محمد علي الشهرستاني الحائري.

“The grammatical guidance of Quranic readings in the book ‘Al-Tibyan fi Tafsir Ghareeb al-Quran’ by Muhammad Ali Al-Shahrastani Al-Ha’iri (d. ١٣٤٤ H).

Dr. Maytham Kareem Kazim Al-Shahin,

Directorate of Education in Thi Qar.

krymmythm٨٨٢@gmail.com

Abstract

The significant role of Arabic cannot be overlooked in reaching the science of interpretation, uncovering the meanings of Quranic texts, and elucidating their connotations. Undoubtedly, one of the most crucial tools enriching the Quranic text is the diversity of grammatical aspects stemming from the multiplicity of Quranic readings. These grammatical aspects play an active role in the vitality and perpetuity of the text, diversifying its reading possibilities and revealing its meanings. Hence, scholars have been keen on interpreting the Holy Quran through its various readings, both in ancient and modern times. Among them is Al-Shahrastani Al-Ha’iri in his book ‘Al-Tibyan fi Tafsir Ghareeb al-Quran,’ where he compiled and directed some of these Quranic readings—albeit few—providing grammatical guidance according to what best suits the meaning and context. The research examines the grammatical guidance in nouns, verbs, and particles, affirming its contribution to the richness of Quranic text significance.

Keywords: Grammatical guidance, Quranic readings, Muhammad Ali Al-Shahrastani Al-Ha’iri.”

المقدمة

للقراءات القرآنية دور منقطع النظير في إثراء الدلالة القرآنية وجعل النص القرآني غضاً طرياً ذا أوجه متعددة تتبعها دلالات مختلفة، فكل قراءة قرآنية تمثل وجهاً جديداً للمعنى في ضوء شكلها الإعـرابي الـذي يتأتى من هذه القراءة أو تلك، وقد دأب المشتغلون في خدمة القرآن الكريم ولغته على الاهتمام بالقراءات القرآنية، ومن هولاء محمد علي الشهرستاني الحائري (ت: ١٣٤٤هـــ) الذي أبدى اهتمامه في اظهار معاني القراءات القرآنية المحتملة في النص الواحد سواء أكانت مشهورة أم شاذة، وقد اقتضى البحث أن يكون على مباحث ثلاثة يقوم الأول على دراسة التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في الأسماء، والثاني التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في الأفعال، والثالث التوجيه النحوي للقراءات القرآنية للحروف، ولعله يمكن القول إنّ ندرة التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند الشهرستاني في كتابه (التبيان في تفسير غريب القرآن) تتأتى من قدر حاجته إليها في كشف بعض معاني مفرداته تبعاً لما يتطابق مع مقصده في هذا الكتاب الذي كان يميل إلى تفسير المفردات القرآنية تفسيراً معجمياً،وقد سبقت المباحث بتمهيد وانتهت بخاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

الشهرستاني سيرته ومدونته التفسيرية (التبيان في تفسير غريب القرآن)

أولاً: سيرته:

هو محمد علي بن محمد بن حسين بن محمد بن محمد حسين بن محمد علي بن محمد حسين بن محمد علي بن محمد اسماعيل، وينتهي نسبه إلى الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (التبيان في تفسير غريب القرآن: مقدمة المحقق: محمد علي الشهرستاني الحائري: ١٤٣٥هـ، ج١: ٧٦)، ولد في كربلاء سنة (١٢٨٠هـ) (تراث كربلاء: سلمان هادي آل طعمة: ١٩٨١م: ١٥٢)، كان الشهرستاني الحائري قد اتصف بالموسوعية والدقة والشمول في وقت واحد، إذ نبع في علوم متعددة منها اللغة والفقه والأصول والكلام والحساب وغيرها، وقد بلغ السيد الشهرستاني مرتبة الاجتهاد وتولى أمور المرجعية بعد وفاة والده المرجع السيد محمد حسين الشهرستاني سنة (١٣١٥هـ) في كربلاء المقدسة (طبقات أعلام الشيعة: أغا بزرك الطهراني: (د: ت): ج١: ١٤١١)، له مؤلفات عديدة بلغت خمسين مؤلفاً منها: التحفة الرضوية في الإمامة، وأنيس المصلين، وترجمة فقه الأمامية، ووظائف الجوارح، وفقه الأطباء، وشرح مفتاح الحساب، والدر الفريد في العزاء على السبط الشهيد (أعيان الشيعة: محمد الأمين العاملي: ١٤٠٣هـ،ج١٠: ٢١)، توفي سنة (١٣٤٤هـ) في كربلاء المقدسة (أعيان الشيعة: محمد الأمين العاملي: ١٤٠٣هـ،ج١٠: ٢١).

ثانياً: مدونته التفسيرية:

للسيد الجليل محمد علي الشهرستاني الحائري مدونة تفسيرية هي (التبيان في تفسير غريب القرآن)، تقع في جزأين يجاوز كل واحد منهما ستمئة صفحة تقريباً،

تقوم على عملية استقصاء شاملة لجميع مفردات القرآن الكريم مرتباً إياها بحسب ورودها في كتاب الله العظيم وليس على ضابطة ترتيب المواد على طريقة الجذر اللغوي، مع ذكر جزء من الآية التي ورد فيها هذا اللفظ في بعض الأحيان ليدل عليها سياقياً، مقسماً كتابه على طريقة المعاجم العربية فابتدأ بحرف الألف حتى وصل آخر الياء، وقد قسم كل فصل من فصول الحرف الواحد على أساس حركاتها إذ ابتدأ بالمفتوح فالمضموم ثم المكسور، ففي الهمزة – مثلاً – نجده قد بدأ بعنوان (فصل الهمزة المفتوحة) مثل (ءَأنذرتهم، أَندداً...) ثم فصل الهمزة المضمومة مثل (وأُوتوا، أُميون...) ثم فصل الهمزة المكسورة مثل: (أهدنا، أستوقد...)، وهكذا بقية الكلمات القرآنية، وهو في كل ذلك مستعيناً بكتاب الله تعالى (تفسير القرآن بالقرآن) والسنة الشريفة لأجل التفسير فمن القرآن الكريم – على سبيل المثال– (إماماً) قال تعالى: ﴿إني جاعلك للناس اماماً﴾ [البقرة/ ١٢٤]، فالإمام الذي يأتم به الناس ويأخذون عنه، وهو الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿يومَ يدعى كل إناسٍ بإمامهم﴾ [الاسراء/ ٧١] (التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج١: ٨٤ – ٨٥)، السنة ما ورد – على سبيل المثال – في (أهدنا الصراط المستقيم)[الفاتحة/ ٧] يذكر رواية عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) إنها بمعنى: ارشدنا للزوم الطريق المؤدي على محبتك (التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج١: ٧٨).

المبحث الأول

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية على مستوى الاسماء

أولاً: بين الرفع والنصب

في قوله تعالى: ﴿فالحقُّ والحقَّ أقول﴾ [ص/ ٨٤]، قرئت لفظة (الحق) الأولى بقراءتين هما: الرفع والنصب، والأولى قراءة ابن عباس ومجاهد وعاصم وحمزة وخلف، والثانية قراءة أهل البصرة وأهل الحرمين والكسائي (اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: الدمياطي: ١٤٠٧هـ: ٢: ٤٢٥، واعراب القرآن: أبو جعفر محمد بن اسماعيل النحاس: ١٤٢٩هـ،ج١: ٨٤)، وقد وجه الشهرستاني الحائري القراءتين توجيهاً نحوياً، فذكر احتمالين اعرابيين لقراءة الرفع هما(التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج١: ٣٣٤):

أ. الرفع على الخبرية: إذ إن لفظة (الحق) قد رفعت على كونها خبراً لمبتدأ محذوف، وتقدير الكلام: أنا الحق.

ب. الرفع على الابتداء: فهو مبتدأ محذوف خبره، وتقدير الكلام: فالحق قَسم، أو الحق مني، كقوله تعالى: ﴿الحق من ربك﴾ [آل عمران/ ٦٠].

أما القراءة الثانية التي هي النصب فهي عنده على كون لفظة (الحق) مقسم به، والتقدير: بالحق لأملأنّ، كما نقول: بحق الله لأفعلنّ (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج١: ٣٣٤)، فهو مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب (اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة

عشر ١٤٠٧هـ: ٢: ٢٢٥)، وعند بعضهم أنه منصوب على التشبيه بالقسم، إذ إن الناصب له ما ينصب القسم، من نحو قولنا: اللهَ لأفعلنَّ، وتقديره: الحقَّ لأملأنّ (مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: ٢٠٠٦م،ج ٨: ٢٨٩).

ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه (مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ٢٠٠٦م،ج ٨: ٢٨٩)، وهو ما ظهر في مثل قوله تعالى: ﴿ويحق اللهُ الحق﴾ [يونس/ ٨٢]، وذهب بعضهم إلى القول بنصب (الحق) على الإغراء، بمعنى: فاتبعوا الحق، أو هو بمعنى المصدر (حقاً) (اعراب القرآن: أبو جعفر النحاس: ١٤٢٩هـ،ج١: ٨٧٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وقولوا حطة﴾[البقرة / ٥٨]، فقد قرئت بقراءتين هما: الرفع والنصب، وقد وجه الشهرستاني كلتا القراءتين فذكر إنها بالنصب ((مصدر، حط عنا ذنوبنا حطةً)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج١: ٣٩٥) ، فهو مثل قولنا: سمعاً وطاعةً، أي: نسمعُ سمعاً ونطيع طاعةً (مجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج١: ١٦٥)، على تقدير حط ذنوباً حطةً، بمعنى إنهم أمروا بالاستغفار وحط الذنوب، على سبيل الدعاء، وقد جاء بالمصدر لما فيه من دلالة التوكيد وتقوية المعنى، فكأنه قد ذكر الفعل ومصدره ليناسب الحال سياق كثرة الذنوب المراد غفرانها.

وقد تكون على تقدير: (أمرنا حطةً)، بمعنى نحط في القرية ونستقر فيها، وذكر الزمخشري إنه لا يبعد كون (حطةً) منصوب بإضمار فعلها، وينتصب محل ذلك المضمر بـ (قولوا) (الكشاف: جار الله الزمخشري: ١٤٢٣هـ،ج١: ٢٨٣) ، لتكون: قولوا حطةً.

أما على قراءة الرفع فقوله: (حطةُ) ففيه وجهان عنده(التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج١: ٣٩٥):

ج. ارتفع على كونه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (إرادتنا حطة).

د. ارتفع على الحكاية: قال الشهرستاني: ((... الرفع على أنهم أمروا بهذا اللفظ بعينه)) (التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج١: ٣٩٥).

والعدول من النصب إلى الرفع قد يكون مرده إلى كون الجملة الاسمية تدل على الثبات والاستقرار(الكشاف: جار الله الزمخشري: ١٤٢٣هـ،ج١: ٢٨٨)، فكأنهم أرادوا به استمرار ذلك الطلب لذي يتمثل بإرادة حط الذنوب عنه.

ثانياً: الاسم بين الرفع والجر

قد يقع اللفظ في موقع معين من السياق يجعله يحتمل وجوهاً اعرابية متعددة، ونتيجة لذلك نجد اختلاف قراءة بعض مفردات القرآن الكريم لدى القرّاء، وهو ما يؤدي حتماً إلى تعدد الأوجه الاعرابية المحتملة ثم تعدد احتمال دلالاتها تبعاً لكون ما يقتضيه الاعراب هو اختلاف المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿والْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢]، ففي لفظة (الريحان) قراءات ثلاثة هي الرفع والنصب والجر، قال ابن الجزري: ((... وَاختلفوا في (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) فقرأ ابن عامر بنصب الثلاثة الأسماء، وكذا كُتب (ذا العصف) في المصحف الشامي بألف، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (والريحانِ) بخفض النون، وقرأ الباقون برفع الأسماء الثلاثة)) (معاني القراءات: الأزهري:

١٩٩١م،ج٣: ٤٤، والنشر في القراءات العشر: ابن الجزري: (د: ت): ٢: ٣٨٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: ١٤٠٧هـ،ج٢: ٥٠٩) ، أما الشهرستاني الحائري فقد أورد قراءتين منهما هما:

أ. الرفع

ب. الجر

وقد ذكر التوجيه النحوي لكلتا القراءتين قائلاً:((وقُرأ: الريحان بالجر، بتقدير ذو، وبالرفع عطفاً على الحب)) (التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج١: ٥٨٦) ، فوجه قراءة الكسر على تقدير (ذو)، وتقديره: (والحب ذو العصف وذو الريحان) (التفسير البسيط: أبو الحسن الواحدي: ١٤٣٤هـ،ج٢١: ١٤٦.، والوسيط: ابو الحسن الواحدي: ١٤١٥هـ،ج٤: ٢١٨، ومعاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء: ١٩٨٣م،ج٣: ١١٣، وإعراب القرآن، ١٤٢٩هـ،ج٤: ٣٠٥)، فكأنه بالعطف على المضاف إليه (العصف)، جاء في مشكل اعراب القرآن: ((ومن خفض الريحان عطفه على العصف)) (مشكل إعراب القرآن: مكي القيسي: ١٤٠٥هـ،ج ٢: ١١٩٨)، ومعنى ذلك أن للحب صفتان فهو ذو ورق ورزق، وهاتان الصفتان أحداهما للبشر والأخرى لغيرهما، جاء في تفسير البسيط للواحدي: ((والحب ذو العصف والريحان، أي: من الحب الرزق، وأريد بالريحان الرزق إذا خرج وخلص من لفائفه وهو رزق للناس، والعصف رزق للدواب، فذكر قوت الناس والأنعام)) (التفسير البسيط: ١٤٣٤هـ،ج ٢١: ١٤٦) ، فكأنه مصداق لقوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات/ ٣٣، عبس/ ٣٢].

أما وجه قراءة الرفع فهو عطفاً على الاسم السابق له (الحبُّ)، على المعنى: ((وفيها الحب والريحان)) (التفسير البسيط: ١٤٣٤هـ،ج ٢١: ١٤٦) ، وقد ذكر النحاس كون الحب قد رفع على عطفه على (فاكهة)، وقوله (ذو العصف) صفة (الحب)، وقوله (والريحان) عطف أيضاً (إعراب القرآن، ١٤٢٩هـ،ج ٤: ٣٠٥)، وربما حمل ذلك دلالة مفادها أن (الحب، والريحان) شيئان منفصلان عن بعضهما، إذ يكون الحب مقابلاً للريحان.

ومما تقدم يستفاد من كون (الريحان) على القراءة الاولى هو الذي يُشم، فهو ذو ورق وعطر، فهو في اللغة ما كان ذو رائحة (مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: (روح): ١٤٣١هـ: ٢٨٨)، وعلى الجر فهو المأكول باعتباره الرزق، جاء في المفردات قولهم ((للحب المأكول ريحان في قوله: (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ))) (مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: (روح): ١٤٣١هـ: ٢٨٨)

ثالثاً: الاسم بين التنوين وعدمه

قد يقع اللفظ الواحد محتملاً للتنوين وعدمه في السياق ذاته، وهو ما يؤدي إلى ثراء الدلالة القرآنية لذلك اللفظ وسياقه الذي هو فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾[هود/ ٤٠]، فقد اختلف القراء في قراءة لفظة (كل)، إذ قرأها حفص بتنوين (كلٍ)، والباقون بغير تنوين، على اضافة (كل) إلى (زوجين) (اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر ١٤٠٧هـ،ج ٢: ١٢٥) ، والقراءة الاولى على قطع (كلٍ) عن (زوجين)، فتكون دلالته على معنى أن يحمل من كل شيء زوجين ذكراً

وانثى (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٦٢٨)، ولما كان من أنواع التنوين العوض، فهو هنا على تقدير محذوف عوض عنه التنوين ليكون على معنى: (من كل حيوان زوجين اثنين ذكراً وانثى).

أما على القراءة بغير تنوين فقد وجهها المصنف على إضافة (كل) إلى (زوجين) بحيث صار كالكلمة الواحدة، ويكون المعنى أن تحمل من كل ما له زوج اثنين، قال الشهرستاني: ((وأما على الإضافة، فالمحمول هو الاثنين، ويكون الظرف للبيان، أي: احمل كل ما له زوج اثنين، إذ كل فرد يسمى زوجاً)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٦٢٩) ، وقد استدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿امسك عليك زوجك واتق الله﴾[الاحزاب/ ٣٧]، وربما كان المراد زوجان باعتبار الزوجية، فيكون الأمر بحمل الاربعة من كل جنس (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٦٢٩)، فهي على معنى: احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف انثى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين عبد الله الشافعي البيضاوي: (د: ت)،ج ٣: ١٣٥).

رابعاً: الاسم بين فتح الحرف الاول وكسره

في قوله تعالى: ﴿قال ربِّ السجنُ أحبُّ إليّ مما يدعوني إليه﴾[يوسف/ ٣٣]، قراءتان الاولى بكسر السين (السِجْنُ) وهي قراءة الجميع إلا يعقوب الذي قرأ بـــفتح السين (السَجْنُ) (مجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ٥: ٣٠٤)، وقد تنبه السيد الشهرستاني الحائري إلى القراءتين موجهاً ومفرقاً بينهما، إذ ذكر إنّ قراءة الكسر تدل على كون لفظة (السجن) اسم مكان الحبس، وعلى قراءة الفتح فهو مصدر الفعل (سَجَنَ)، قائلاً: ((... قُرأ: بكسر السين، وهو اسم المكان))، وهو على تقدير حذف مضاف، وكأن القول: رب دخول السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه؛ لأن السجن - بكسر السين - اسم للموضع الذي يُحبس فيه، ولم يكن محبباً للسجن ومكانه، بل يريد إن اللبث فيه خير من دعوة النسوة إلى الفاحشة (التفسير البسيط: ١٤٣٤هـ،ج ١٢: ١٠٦)، وقد تنبه المفسرون إلى كون ذلك يحمل دلالة مفادها إنّ نسوة مصر قد دعونه مثل ما دعته إليه امرأة العزيز.

وعلى قراءة فتح السين فـــ (السجن) مصدر الفعل (سجن)، قال الشهرستاني: ((... وبالفتح مصدر، سجن يسجن سجناً، وهو المنع عن التصرف في الحبس)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٧٠٥)، ومعناه: أن أسجن أحب إليّ، فكأنه قد جعله بمعنى المصدر وليس اسم مكان لموضع الحبس (مجمع البيان: ٢٠٠٦م: ٥: ٣٠٨).

خامساً: الاسم بين التشديد والتخفيف

في قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً﴾ [النبأ / ٢٨]، فاختلفوا في قراءة لفظة (كذاباً)، إذ قرأ الكسائي بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بتشديدها(اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: ١٤٠٧هـ،ج ٢: ٥٨٤)، وهي على القراءة المشهورة (كِذّاباً) مصدر الفعل (كـذّبَ)، كما إن الكلام مصدر كلّم، فهو مصدر بمعنى التكذيب(مجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ١٠: ١٨٨)، وقرأ بعضهم (كُذّاباً) - بضم الكاف وتشديد الذال -، وهي قراءة شاذة(مجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ١٠: ١٨٨).

وقد ذكر الشهرستاني القراءات الثلاثة، موجهاً القراءة الاولى على كون (كذّاباً) مصدر الفعل (كـذّبَ)، إذ إنَ لهذا الفعل المضعف مصدران هما: كذّب تكذيباً وكذّاباً، قائلاً: ((﴿كِذّاباً... أي: تكذيباً. والكـذاب: مصدر كذّب يكذب تكذيباً وكذّاباً)) (التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج ٢: ١٠٥٦) ، وهذا هو القياس، إذ الأصل في كل فعل رباعي يكون مصدره بزيادة ألف قبل آخره ليكون (فِعّال) (اعراب القرآن: أبو جعفر محمد بن اسماعيل النحاس: ١٤٢٩هـ،ج ١: ١٢٦٠)، وقيل إن ذلك لغة يمانية، إذ يجعلون مصدر كل (فعّل) على بناء (فِعّال)، ويجعله غيرهم على (تفعيل) (تكذيب) (البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ١٤١٣هـ،ج ٨: ٤٠٦) ، وعلى القراءة المشهورة – بتشديد الذال – يقع هذا اللفظ أكثر تأكيداً للمعنى، إذ هو المصدر الذي يدل على ما يدل عليه الفعل وزيادة، ويقع التأكيد في ضوء:

– تكرار اللفظ على بناء إضمار الفعل، فهو على تقدير: كذبوا كذاباً.

– زيادة المبنى في ضوء تشديد الياء مما ينبئ بزيادة المعنى وتقويته وتوكيده.

أما القراءة الثانية التي بتخفيف الذال فتكون لفظة (كذاباً) مصدر له احتمالان هما:

أن يكون مصدر (كاذب) الذي على بناء (فاعل)، فهو مثل: قاتل قِتال.

أن يكون مصدر الفعل الثلاثي المخفف (كذب)، فهو مثل كتاب مصدر الفعل كتب.

وقد وجه الشهرستاني الحائري القراءة على كونه مصدراً للفعل (كذب)، إذ قال: ((وقُرأ: كِذَاباً خفيفة، وهو مصدر كذب بالتخفيف، مثل: كتاب مصدر كتب)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ٢: ١٠٥٦)، وقيل هي لغة أهل اليمن الذين يجعلون مصدر الفعل (كذب) – بالتخفيف – (كِذَاباً) – بالكسر والفتح مخففاً –، وهو مثل: كتب كتاباً، بحيث صار الاسم بمعنى الفعل(البحر المحيط: ١٤١٣هـ،ج ٨: ٤٠٦).

ثم ذكر المصنف قراءة الكسر والتضعيف (كِذاباً)، مبيناً أنها قراءة شاذة، موجهاً إياها على كون اللفظ قد وقع جمعاً للفظة (كاذب)، وهي منصوبة على الحال، إذ يقول: ((وقرأ في الشواذ: كُذّاباً، بضم الكاف والتشديد، وهو جمع كاذب، ونصبه على الحال)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ٢: ١٠ ٥٦)، وهذه القراءة منسوبة للإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام.

فالتوجيه النحوي عند المصنف للقراءتين لا يخلو من كون اللفظ يقع بين احتمالين نحويين هما:

أ. (كِذّاباً) – مشددة – مصدر الفعل (كذّب).

ب. (كذاباً) – بالتخفيف – مصدر الفعل (كَذَبَ).

ج. (كِذَاباً) – بالكسر وفتح الذال – جمع لـ (كاذب) واقع حالاً.

المبحث الثاني

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية على مستوى الأفعال

البناء للمعلوم والبناء للمجهول:

قد يحذف الفاعل ويقوم مقامه غيره ؛ لسبب مفاده كون الفعل لابد له من مرفوع أو ما هو بمنزلته، وقد يحذف ذلك الفاعل ويقع نائبة لأغراض عديدة لا تخلو من أن تكون لفظية أو معنوية، كالقصد في الإيجاز او الخوف على إظهار الفاعل أو منه(شرح المفصل: ابن يعيش: (د: ت)،ج ٧: ٦٩ – ٧٠)، او المحافظة على توازن النص في الوزن او التوافق في الآيات القرآنية، ولما كان النص القرآني نصاً مكتوباً فقد وقع بعض الخلاف في قراءة بعض مفرداته ونصوصه، ومن ذلك ما قرء باحتمالية البناء للمعلوم أو البناء للمجهول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لا يحبُّ اللهُ الجهر بالسوء إلا مَنْ ظُلِم﴾ [النساء/ ١٤٨]، إذ في قوله: (من ظلم) قراءتان (النشر في القراءات العشر: (د: ت)،ج ١: ٥٢٣ – ٥٢٤، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: ١٤٠٧هـ،ج ١: ٥٢٣، ومجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ٣: ١٨٨):

أحداهما: على البناء للفاعل، وهي قراءة الحسن البصري.

الأخرى: على البناء للمفعول.

الاولى استثناء منقطع على معنى لكن الظالم يجهر به.

وقد أشار الشهرستاني إلى القراءتين منبهاً إلى توجيه كل واحدة منهنّ ودلالته، إذ ذكر أنّ في الاستثناء احتمالان في ضوء القراءة القرآنية للفعل (ظلم)، وكما يأتي (النشر في القراءات العشر: (د: ت)،ج ١: ٥٢٣ – ٥٢٤، ومجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ٣: ١٨٨):

أحدهما: إذا كان الفعل على البناء للمفعول (ظُلِمَ)، فإن الاستثناء سيكون متصلاً، إذ إن المستثنى من جنس المستثنى منه، أي: لا بأس لمن ظُلم أن ينتصر ممن ظلمه، بالذي يجوز الانتصار به في الشريعة الإسلامية (مجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ٣: ١٨٨).

الآخر: في قراءة البناء للفاعل (إلا من ظَلَمَ) يكون الاستثناء منقطعاً، بحيث يكون المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، فهو يفعل ما لا يريده الله تعالى، أيّاً كان نوعه كالجهر بالسوء من القول وغيره، فهو على كل حال يفعل ما يريده الله تعالى ولا يحبه (التبيان في تفسير غريب القرآن١٤٣٥هـ،ج ١: ٢٧٢، وتفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة الحويزي: (د: ت)،ج ٢: ١٦٧)، وربما كانت (إلا) بمعنى (لكن) ليكون تقديره: لكن الظالم بجهر به لله تعالى.

المبحث الثالث

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية على مستوى الحروف

الحرف (حاشا):

كلمة تفيد معنى التنزيه والتبرئة في كل معانيها (معاني النحو: ١٤٢٠هـ،ج ٢: ٢٧٥)، وهي حرف جر يفيد التنزيه في باب الاستثناء)) (التبيان في تفسير

غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٣٣٩)، ومعنى إفادته للتنزيه في الاستثناء إن قولك: أساء القوم حاشا زيدٍ، يشبه قولك: أساء القوم إلا زيداً، فكلاهما قد أفادا تنزيه ما بعدهما، ففهم منه براءة زيد من الإساءة (البحر المحيط: أبو حيان الاندلسي: ١٤١٣هـ،ج ٥: ٣٠٠)، وفهم من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿قلنَ حاشَ لله ما هذا بشراً﴾ [يوسف/ ٥١]، براءة يوسف، فهي بمعنى تنزيه ما بعدها من السوء، فمتى أرادوا تنزيه شخص من سوء بطريقة التأكيد يبتدئون بتنزيه الله تعالى من السوء ثم يبرئون ذلك الشخص ليكون ذلك التنزيه أكثر تأكيداً وبلاغة(شرح الرضي على الكافية: ١٩٩٦م،ج ١: ٢٦٦).

وفي قوله تعالى: ﴿قلنَ حاشَ لله ما هذا بشراً﴾ [يوسف/ ٥١]، أكثر من قراءة منها قراءة أبي عمر (حاش الله)، والقراءة المشهورة (حاشَ لله)(مجمع البيان: ٢٠٠٦م،ج ٥: ٣٠٥)، وقد أشار الشهرستاني إلى كون (حاش لله) أصله (حاشا) بالألف، وحذفت ألفه تخفيفاً، فصار (حاشا لله)، وهي على هذه القراءة حرف جر دال على التبرئة والتنزيه باب الاستثناء، وقد نُزّلَ منزلة المصدر بحيث صار كقولك: سقياً لك، بمعنى هو على تقدير: (براءة لك)، واللام الملازمة للفظ الجلالة لام التبرئة (التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٤٣٥هـ،ج ١: ٣٣٩).

وقيل إن (حاشا) في مثل هذا السياق لا يجوز أن يكون حرف جر؛ لأنه لا يجوز دخول حرف الجر على حرف جر آخر، وهو اللام الداخلة على لفظ الجلالة، لذا فهي عند بعضهم على غير هذا التقدير، وهي بمعنى صار في حشاء من هذا الأمر، أي: بَعُدَ عنه، واللام في (لله) لام التعليل، وتقدير الكلام: بعُدَ عن هذا الأمر لخوفه من الله، أو بسبب خوفه من الله (مجمع البيان: ١٤٣٥هـ،ج ٥: ٣٠٥).

أما القراءة الثانية التي هي (حاشا الله)، على خفض لفظ الجلالة فهي على احتمالين عند الشهرستاني الحائري هما:

أ. مجرور بحرف الجر اللام مقدرة، إذ خفض لفظ الجلالة على إضمار اللام؛ لطول صحبتها (حاشا) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٣٣٩)، بمعنى إن لفظ الجلالة مجرور بحرف جر مقدر

ب. حاشا شبه اسم ولفظ الجلالة مضاف إليه، قال المصنف: ((لما خلت حاشا من المصاحب، أشبهت الاسم، فأضيفت إلى ما بعدها)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٣٣٩)، وقال في مورد آخر: ((وقُرأ: حاشا الله، بغير لام ؛ بمعنى، براءة الله)) (التبيان في تفسير غريب القرآن ١٤٣٥هـ،ج ١: ٣٣٩)، ولما كانت (حاشا) احدى حروف الجر فإن البحث يتبنى كون (حاشا) على قراءة جر لفظ الجلالة (الله) على الأصل الذي هي عليه من كونها حرف جر، ولفظ الجلالة مجرور به، وليس هناك من داعٍ إلى مثل هذا التكلف.

الخاتمة

توصل البحث إلى طائفة من النتائج أهمها:

- أثبت البحث عناية المصنف الشهرستاني الحائري بالتوجيه النحوي للقراءات القرآنية من دون نظر إلى نوعها – مع إشارته إلى كونها شاذة أو ضعيفة أو مشهورة– إذ يعمد إلى توجيه القراءة القرآنية سواءً أكانت قياسية أم ضعيفة أم شاذة، كما في قراءة (حاشا الله)، و (حاشا الله).
- يبدأ الشهرستاني من توجيه القراءة القرآنية المشهورة التي عليها العامة ثم يتجه باتجاه توجيه غيرها كالشاذة، وهو ما قد يدل على إن موقفه من القراءات القرآنية كموقف من سبقه فهو يصف بعضها بالمشهورة ويقول بشذوذ بعضها الآخر.
- حوى كتاب (التبيان في تفسير غريب القرآن) على كثير من القراءات إلا إن المفسر لم يعتنِ بتوجيهها جميعاً، إذ يكتفي بذكرها في بعض الأحيان، أو توجيه بعضها وترك بعضها الآخر من دون توجيه، وإنّ توجيه النحوي للقراءات القرآنية لا يجاوز – تقريباً ما حواه متن هذا البحث.
- اتكأ المفسر الشهرستاني في كثير من مباحثه اللغوية بشكل عام والنحوية بشكل خاص على تفسير القرآن بالقرآن والسنة الشريفة.
- تفرد السيد الجليل محمد علي الحائري بطريقة عرض مواده اللغوية القرآنية التي وقعت على أساس ترتيب الكلمات بحسب الترتيب القرآني مستخدماً في أبوابه طريقة الترتيب الألف بائي معتمداً على حركة الحرف الأول في تنظيمها داخل كل فصل.

المصادر والمراجع

١. اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: أحمد بن محمد البنا: تح: شعبان محمد، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ.
٢. اعراب القرآن: أبو جعفر محمد بن اسماعيل النحاس: دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ.
٣. أعيان الشيعة: محمد الأمين العاملي: تح: حسين الأمين: دار المعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، د: ط، ١٤٠٣هـ.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين عبد الله الشافعي البيضاوي: دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، (د: ت).
٥. البحر المحيط: أبو حيان الاندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ.
٦. التبيان في تفسير غريب القرآن: محمد علي الشهرستاني الحائري: تح: عادل عبد الجبار ثامر الشاطي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ.
٧. تراث كربلاء: سلمان هادي آل طعمة، مؤسسة الأعلمي: بيروت – لبنان، ١٩٨١م
٨. التفسير البسيط: ابو الحسن الواحدي: تح: عبد الله بن ابراهيم الريس وعبد الرحمن هوساوي: دار العماد، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ.
٩. تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة الحويزي: تح: علي عاشور: دار صادر، بيروت – لبنان، (د: ت).

١٠.شرح الرضي على الكافية: تصحيح: يوسف حسن عمر: بنغازي، جامعة قار يونس، ط٢، ١٩٩٦هـ.

١١.شرح المفصل: ابن يعيش: تح: مجموعة من مشايخ الأزهر: إدارة الطباعة المنيرة، مصر، (د: ت).

١٢.طبقات أعلام الشيعة: أغا بزرك الطهراني: مؤسسة اسماعيليان، قم (د: ط)، (د: ت).

١٣.الكشاف: جار الله الزمخشري: اعتنى به وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٤.مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٥.مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي: تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

١٦.معاني القراءات محمد الأزهري: تح: محمد مصطفى درويش وعوض حمد القوزي، دار المعارف، ط١، ١٩٩١م.

١٧.معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء: عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٣.

١٨.معاني النحو: فاضل السامرائي: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠م.

١٩.مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: دار الأميرة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٢٠.النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد ابن الجزري: صححه محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د: ت).

٢١.الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ابو الحسن الواحدي: تح: عادل أحمد عبد المجيد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ